آليات الاتساق المعجمي في الأمثال الشعبية

الكيد والمكر في رباعيات عبد الرحمان المجدوب "أنموذجا"

غزالي خيرة

د. سعيدي محمد

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

الملخص:

إن المثقف يسعى لترك بصمته في العالم عن طريق التأثير في المجتمع لتمرير أفكاره بشتى الطرق، وقد تنوعت أساليبه، فمنها ما هو مكتوب ومنها ما هو شفهي والمتمثل في المثل الشعبي الذي يعد من الأشكال التعبيرية الأكثر شيوعا ، فالأمثال الشعبية مرآة عاكسة للشعوب تصور عاداتها وتقاليدها في عبارات وجيزة ذات معاني متعددة، فهي تلخص عصارة تجاربهم حتى أضحت إرثا تتناقله الأجيال . وقد أخذت المرأة حصة الأسد فيها باعتبارها مادة دسمة في الموروث الثقافي الشعبي ، وقد تنوعت مضامينها تنوع القصص المستوحاة منها ومنها الكيد والمكر، وتعد رباعيات عبد الرحمان المجدوب من الدرر و الكنوز الثمينة التي تناولت هذه الصفات والتي اتشرت في المغرب العربي ونخص بالذكر المجتمع الجزائري لسهولة تناولها ودقة تصوريها و براعة حبكتها . ولقد تعددت المناهج المستخدمة في تحليل النصوص منها المنهج اللساني، والذي ارتبط بعدة علوم لغوية حديثة منها: لسانيات النص هذا العلم الذي واكب التطور والذي يدرس اتساق وانسجام النصوص ، والحديث عن الاتساق يقودنا حتما للحديث عن أنواعه منها الاتساق المعجمي، ونخص بالذكر التكرار الذي يعد أحد أدوات اتساق النصوص.

الكلمات المفتاحية : المثل الشعبي ـ الكيد والمكر ـ رباعيات عبد الرحمان المجذوب .اللاتساق المعجمي ـ التكرار

. Summary

The intellectual seeks to leave his mark in the world by influencing the society to pass his ideas in various ways, and varied methods, including what is written, including what is oral and the popular example, which is one of the most common expressionist expressions, popular proverbs reflective of the people depicting their customs and traditions Short phrases of multiple meanings, summarizing the juicer of their experiences to become a legacy transmitted by generations. Women have taken the lion's share in it as a rich material in the popular cultural heritage. The contents of the story varied from the inspired stories, including the Kidd and the Cunning, and the Raba'iyat Abd al-Rahman al-Majdoub is one of the precious treasures and treasures that dealt with these qualities, which spread throughout the Maghreb. And the accuracy of perception and the ingenuity of her love. The various methods used in the analysis of texts, including the linguistic approach, which has been linked to several modern linguistic sciences, including: linguistics of the text of this science, which accompanied the development, which examines the consistency and harmony of texts, and talk about consistency inevitably leads to talk about the types of the consistency of lexicography, Text consistency tools.

Keywords: popular proverbs Kidd and Mkrb Rabaiyat Abdul Rahman Majzoub.

الإشكالية :

تناولت الأمثال الشعبية المرأة في مختلف جوانب الحياة فمنها ما يرفع من قيمتها ومنها مايحط منها والمتمثل في الكيد و المكر اللذان احتلا الصدارة في رباعيات عبد الرحمان المجذوب ، واللذان تجسد اكثيرا من خلال التكرار لبعض المعاني السلبية المتضمنة لهما . وعليه نخرج بجملة من الإشكالات علنا نستوفيها من خلال عرضنا لهذا المقال و منها :

ـ ما علاقة الأمثال الشعبية بالمرأة؟

ـ كيف تجسدت صورة المرأة في المثل الشعبي؟

هل الكيد والمكر للمرأة في المثل الشعبي ينظر له بالجانب الإيجابي أم السلبي ؟

إلى إي مدى استطاع عبد الرحمان المجذوب تصوير كيد ومكر المرأة في رباعياته ؟

كيف ساهم الاتساق المعجمي في تحديد معالم رباعية عبد الرحمان المجدوب ؟

إلى أي مدى نجح التكرار في إبراز المعنى الخفي للرباعية؟

تمهيد: سجلت

المرأة حضورا في المثل الشعبي باعتبارها نصف المجتمع، وهناك من ينظر إليها نظرة إيجابية ، والبعض الآخر يراها عكس ذلك لأنها مصدر السلوكات السلبية من خيانة وكذب وغيرها من العادات السيئة التي التصقت بالمرأة كتهمة تلاحقها أينما وجدت باعتبار هذه الأفكار رسخت في ذهنية الناس منذ القدم، ومن بينها الكيد والمكر التي تحدث عنها عبد الرحمان المجذوب في رباعياته . والذي حاول هذا الأخير لفت انتباه القارئ ، ودق ناقوس الخطر من خلال تكرار الكلمات ذات المعنى السلبي .

1ـ المثل لغة واصطلاحا:

أ ـ لغة :

لقد أسهب لسان العرب في شرح مادة "مثل " حيث وردت بمعنى " تسوية " يقال هذا مَثْلُهُ ومُثْلُهُ كما يقال شَبَهُهُ و شِبْهُهُ ، والتساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد وزلا ينقص، والمثل : الشبه يقال مَثَلُ ومِثْلُ وشِبْهُ وشَبَهُ بمعنى واحد ، والمثل الحديث نفسه[1]

ب اصطلاحا :

قبل أن نعرج إلى التعريف الاصطلاحي علينا أن نشير إلى أن القرآن الكريم زاخر بالأمثال الشعبية، فقد وردت في العديد من السور منها قوله تعالى : ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾[2] ، وذلك لغاية يريدها الله عز وجل لعباده إما للإرشاد إلى طريق الخير وإما لكشف الحقائق، فهي حجة للإقناع من باب الترغيب أو النرهيب أو إدخال الفرحة في نفوس المسلمين .

أما المثل عند الأدباء واللغويين فقد حظي باهتمام كبير منذ القدم، فقد عرفه أبو الهلال العسكري بقوله :"...هي من أجلّ الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها...ومن عجائبها أنها مع ايجا زها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب "[3] ومن خلال هذا التعريف نستنتج أن الأمثال ألفاظها موجزة لكن معانيها موحية. وعرفها صاحب العقد الفريد :" بأنها وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني والتي تخيرها العرب وقدمتها العجم ، نطق بها كل لسان، فهي أنقى من الشعر، وأشرف من الخطابة..."[4] . من خلال قوله نلاحظ أن الأمثال استعملت قديما، وقد ميزها الكاتب عن الخطابة نظرا لتأثيرها على الناس .

فالأمثال الشعبية هي حصيلة تجارب وأحداث عاشها الناس في زمن ما لتصبح متداولة على ألسنتهم، وهذا ما أكدته الدكتورة" نبيلة إبراهيم" في مؤلها بقولها :" الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم، ومحصول خبرتهم"[5]

2ـ خصائص المثل:

ارتبط المثل الشعبي بسلوك الأفراد حتى غدا يؤثر على علاقاتهم الاجتماعية في كل زمان ومكان " المثل الشعبي أقوى تأثير في العلاقات الاجماعية، وألص بحياة الناس حتى الوقت الحاضر ..."[5]. كما أن الميداني

حدد خصائص المثل في كتابه بقوله:" تجتمع في المثل أربع خصال لا تجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة "[6] .نستنتج من خلال قوله أن الأمثال تحمل معاني دقيقة في ألفاظ موجزة، وهذا ما عززه أحمد أمين بقوله:" المثل نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات المجتمع"[7] فالأمثال الشعبية هي نوع من أنواع الأدب، تمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى وجودة الكناية، سريعة الانتشار لبساطة ألفاظها وعمق معانيها لدرجة أن أي أمة من الأمم لا تخلو منها .

3- آليات الاتساق المعجمي في رباعيات عبد الرحمان المجدوب:

إن لسانيات النص سعت إلى الكشف عن أغوار النصوص انطلاقا من آليات مختلفة تمثلت في أدوات الاتساق والانسجام، والاتساق بدوره من حيث وظائفه اللغوية ينقسم إلى اتساق نحوي واتساق معجمي، وقد ركزت في دراستي عليه لما له أولوية في تحديد معالم النص، ومن أدواته التكرار والتضام .

4- **مفهوم الاتساق:**

لقد تعددت المفاهيم حول هذا المصطلح التي حددها علماء الغرب الذين كان لهم السبق في الاهتمام بهذه المصطلحات باعتبار أن لسانيات النص من العلوم الحديثة التي واكبت مختلف التطورات في جميع المجالات، إلا أن العرب كان لهم الصيت في وضع تعريفات لهذا المفهوم منهم محمد خطابي الذي عرف الاتساق بقوله:" يبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر. يفترض كل منهما الآخر مسبقا، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول..."[8] ، كما يرى بأن الاتساق "لا يتم على المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم..."[9]. ومن خلال هذه التعريفات نخلص إلى أن الاتساق يهتم بمستويات متعددة منها النحو والمعجم ولك من أجل الوصول إلى المعنى الخفي للنص.

5- **الاتساق المعجمي**:

يعد آخر مظهر من مظاهر اتساق النص إلا أنه مختلف عنهما جميعا، وينقسم إلى نوعين: التكرار والتضام.[10] **أ التكرار** : هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه رادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما.[11]

ب التضام: : هو شكل من أشكال السبك المعجمي في النص، ويعرف عند هاليدي بأنه " توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، ذلك لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[12]

6- نماذج من الكيد والمكر في الرباعية المتضمنة للتكرار:

ارتباط الكيد والمكر بالمرأة ليس من الأمور المحدثة بل هو أمر قديم، وقد صرح به القرآن الكريم في قصة النبي يوسف عليه السلام في قوله تعالى : "فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ "[13] وأيضا قوله عز وجل في محكم تنزيله : وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ " [14] .

أما المعنى اللغوي جاءت كلمة الكيد بمعنى الاحتيال والخداع[15]، والكيد جاء بمعنى الخبث والمكر[16] .نلاحظ من خلال التعريف اللغوي أن الكيد و المكر يتقاربان في المعنى .

7- التعريف الاصطلاحي للكيد و المكر:

تطرق الجرجاني في كتابه " التعريفات " إلى تعريف صفتي الكيد و المكر، فقد عرف الكيد بقوله:" الكيد إرادة مضرة الغير خفية ، وهو من الخلق: الحيلة السيئة، ومن الله التدبير بالحق لمحاباة أعمال الخلق" [17] . نفهم من هذا التعريف أن الكيد هو إلحاق الضرر خفية، ويعرف المكر بقوله :" المكر من جانب الحق تعالى هو إرداف النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب و إظهار الكرامات من غير جهد، ومن جانب العبد إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر "[18] نستخلص من هذا التعريف أن مكر الله يختلف عن مكر البشر، فمكر الله من أجل منح الفرص للتوبة، أما مكر البشر فهو احتيال في الخفاء لإيقاع المكروه بالطرف الأخر.ومنه نخلص أن كلي من الكيد و المكر يحملان معاني سلبية إذا كانا من البشر لأن فيهما أذى وضرر.

أما الكيد و المكر في الأمثال الشعبية فقد ارتبط بالمرأة لأنها صاحبة هذه التصرفات في نظر المجتمع، وتعد رباعيات عبد الرحمان المجذوب من الأقوال الشعبية التي لقت رواجا كبيرا في المجتمعات، منها المجتمع الجزائري وذلك لحنكتها وبراعة تصويرها، ومضامينها مستوحاة من عمق المجتمع . والرباعية "

فهي اسم اطلق قديما على من على نوع من أنواع الشعر تعود جذوره الأولى إلى شعراء الفرس، يتكون من أربع أشطر تحددها القافية"[19]

النماذج :

مَزْيَنْ النسَا بْضَحْكَاتْ لو كَانْ فِيها يْدُومُوا
الحُوتْ يعُومْ في المَاء وهُما بْلاَ مَاء يْعُومُوا [20]

والمعنى أن المرأة تضحك لقضاء حوائجها ، ففي عبارة " بلا ماء يعوموا" فيه إشارة إلى معرفة المرأة بشؤون الحياة، فهي تستعمل الحيلة والدهاء حتى في الضحك للتخلص من المشاكل والصعوبات.أما الكلمة المتكررة تجسدت في الفعل " يعوم" هذا الأخير الذي نسب تارة للحوت في قوله" الحوت يعوم"، ونسب تارة للنساء في قوله" هما بلا ما يعوموا" فالتكرار هنا جاء لتاكيد المعنى ولإبراز معنى خفي تجسد في مهارة السباحة التي أسندت إلى الحوت ومقارنتها بحنكة المراة ، فهي تتحكم في زمام الأمور لخوض معترك الحياة كتحكم الحوت في السباحة وهو في البحر .

سُوقْ النسَا سُوقْ مَطْيَارْ يَا دَاخَلْ رُدْ بَالَكْ
يورَيوْا لكْ من الربحْ قُنطَار والذَّرْكْ راَسْ مَالَكْ[21]

وهنا يحذر الرجل ليكون على بصيرة من أمره من مكر المرأة وتحايلها فعبارة "سوق مطيار" بمعنى لا فائدة فيه ولا ربح فقد تدعي الربح الغزير بتحايلها و أخذها من مال الرجل وكما يقال في المثل الشعبي الجزائري " من لحتو بخرلو" .أما الكلمة المتكررة تجسدت في المركب الاسمي " سوق" في قوله " سوق النسا سوق مطيار"، وتكرار هدا الاسم دلالة على لفت انتباه القارئ بأن المراة في كثير من الأحيان صاحبة المشاكل .

بُهْتَ النسَاء بُهْتَيْنْ مَنْ بُهْتْهُمْ جِيتْ هَارَبْ
يَتْحَزْمُوا باللفاَع و يْتخلَّوا بِالعَقارَبْ[22]

البهت : الحيلة .نلمح في هذه الرباعية كيد النساء و مكرهن بحيث لديهن عدة أساليب وطرق في ذلك، فاستعماله تارة " اللفاع" وتارة أخرى" العقارب" يشيران إلى المعنى السلبي فالأفعى حيوان خطير وحتى العقرب وأحيانا نجد في مجتمعنا أن المرأة إذا تصرفت بسلوك سيء تنعت ب " لفعا" ، وفيه دلالة على رفض المجتمع لسلوكاتها التي لا تتماشى وتعاليم الدين الإسلامي وحتى العادات و التقاليد و على الرجل أن يحذر من مكرهن ، ونلمس هنا تكرار كلمة " البهت" التي جاءت بمعنى الحيلة فهو يكررها للتحذير من مكر المرأة .

كَيْد النسَاء كَيْدينْ ومَنْ كَيْدَهُم يْاَحْزُونِي
راَكْبَة على ظْهَرَ السْبَعْ وتْقُولْ الحْداَء يَاكْلُوني [23]

ياحزوني : كأنه جمع حزن، والمعنى يا أسفي ـ الحداء هو في العربية الحداء نوع من الطيور الجوارح وهي التي تفترس غيرها من الطيور الصغيرة .فهنا يتعجب من كيد المرأة فإن كانت المرأة بجانب الرجل و الذي أشار إليه بكلمة" السبع " لن تعترف بجميله وقوته وتدعي أنه سيهاجم عليها ويؤذيها .وهنا نلاحظ أن التكرار جاء في كلمة "كيد" وذلك لتعزيز المعنى السلبي لهذا الاسم للتحذير من كيد النساء .

حْدِيث النْساَ يْوَّنَسْ ويْعَلَّمْ الفْهَامَهْ
يْدِيرُوا شَرْكَهْ من الرّيح ويحَسْنوُا لَكْ بلْاَ مَ[24]

الشركة : القلادة قد تستعمل المرأة دهاءها في الكلام للتحايل على الرجل من أجل تحقيق مطالبها، وربما يسبب له الهلاك ما استخلصناه من عبارة " يحسنولك بلا ما "

نتائج البحث :

ـ الأمثال الشعبية الخاصة بالمرأة قد تحمل دلالات سلبية خاصة إذا كانت مضامينها تحمل سلوكات سيئة
ـ الأمثال الشعبية ذات رسالات مشفرة والغاية منها أخذ الحيطة والحذر من أفعال المرأة المنافية لتعاليم الدين الإسلامي ـ
ـ تستعمل المرأة قوتها السلبية كسلاح من أجل مواجهة اضطهاد الرجل
ـ المرأة تحتل مكانة مرموقة في الموروث الثقافي ونخص بالذكر الأدب الشعبي
ـ المرأة تحاول إثبات وجودها من خلال تقمصها للأدوار السلبية في الحياة.

ـ الأمثال الشعبية مدرسة يستقي منها العام والخاص الدروس والعبر
ـ الأمثال مرآة عاكسة لحضارة الشعب وأخلاقه ، وعاداته
ـ هي سياج من القيم يضربها المجتمع من حوله ليحمي نفسه
ـ رباعيات عبد الرحمان المجذوب لها صدى في المجتمع الجزائري لقوة تأثيرها فلغتها العامية قريبة من لغة الجزائريين .
لكن رغم هذه القيمة السلبية للمرأة في الأمثال الشعبية إلا أنه لا ننفي وجود أمثال ترفع من قيمتها، وتصنع لها مكانه مرموقة في المجتمع .
الاتساق المعجمي له دور كبير في تحديد معالم النصوص.
للتكرار قيمة دلالية تجسدت في تحديد المعاني الخفية للنصوص .
آليات الاتساق المعجمي كان لها صيت كبير في رسم الجانب الفني في رباعيات عبد الرحمان المجدوب خاصة الحاملة لمضمون الكيد والمكر.
ساهم التكرار بدرجة كبيرة في اتساق مضمون الرباعية، حيث لفت انتباه القارئ من جهة خاصة فيما يخص كيد ومكر المرأة ومن جهة أخرى كان له دور كبير في التحذير من التصرفات السلبية لها.

هوامش الدراسة

01- ابن منظور: لسان العرب، دار الجيل، بيروت ودار لسان العرب
02- الآية 35 من سورة النور
03- العسكري أبو هلال: جمهرة الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل ـ عبد المجيد قطاش ، دار الجيل، بيروت لبنان، ج1،ص04-05.
04- أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، 1404-1983 ص 03.
05- د نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، ص174.
06- التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت، لبنان، ص 157
07- الميداني :مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، مج2ص 14.
08- أحمد أمين: قاموس العادات و التقاليد والتعابير المصرية، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ص61.
09- محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991، ص15.
10- المرجع نفسه، ص، 15
11- المرجع نفسه،ص،24
12- بن يحي طاهر ناعوس: تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة ص: 58.
13- أحمد عزة يونس: العلاقات النصية في لغة الفرآن الكريم ، دار الآفاق العربية، ص، 85.
14- الاية 28 من سورة يوسف .
15- الآية 54 من سورة آل عمران .
16- ابن منظور، لسان العرب،ج5، المرجع السابقص183.
17- المرجع نفسه، ج3 ،ص 383.
18- الجرجاني: التعريفات : تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405ه، ص 293.
19- المرجع نفسه ص 293
20- دائرة المعارف الإسلامية ، المجلة العاشر، ترجمة مجموعة من الأساتذة، د(ط) ص30.
21- سيدي عبد الرحمان النجذوب: القول المأثور، مع مقدمة و شروح، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ص16
22- المصر نفسه ، ص 16.
23- المصدر نفسه ، ص 30.
24- المصدر نفسه ، ص 30